مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

رسالةُ الأربعين

من

أقاصي الأرض

عبدُ الحَليم الغِزّي

منشورات موقع القمر

رسالةُ الأربعين

من

أقاصي الأرض

يوم الأحد

بتاريخ: 19 صفر 1438 هـ

الموافق: 2016/11/20 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

رسالةُ الأربعين

من

أقاصي الأرض

عبدُ الحَليم الغِزّي

هيئة زهرائيون/ ستوكهولم / السويد

يَا زَهْرَاءْ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

اللَّهُمَّ يَا ربَّ الحُسينِ بِحقِّ الحُسَين اِشْفِ صَدرَ الحُسين بظهورِ الحُجَّةِ عليهِ السَّلام..

عنوانُ حديثي هو نفسهُ الَّذي تقدَّم في الليلة الماضية: (رسالة الأربعين من أقاصي الأرض) من هنا من ستوكهولم..

إلى الحُسينيّين فقط إلى أولئك الَّذين يجدون أطعم الأوقاتِ إلى قلوبهم وأسعد اللحظاتِ في حياتهم وهم في مقامِ خدمةِ سيَد الشُّهداء صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

ومرّ الحديثُ مُتسلسلاً في عدَّة نقاط لا أُريد أن أُكرِر ما ذكرتهُ في الليلة الماضية بالمجملِ تحدَّثتُ عن الأسلوب الإنشائي، وعن أسلوب التحليل التأريخي، السياسي، الإعلامي، إلى سائر المطالب الأخرى، وأشرتُ إلى الأحاديث الَّتي تتناول الكرامات، المعجزات، المنامات، وأمثال هذهِ المطالب، وكذاك ما يَرتبطُ بذكرِ المصيبةِ على نحو الحكايةِ وفي بعض الأحيان قد تعرضُ بنحوٍ فيه إساءةٌ واضحة حين الحديثِ عن سيَد الشُّهداء، وأشرتُ أيضاً إلى حديثِ كشكولي، هناك أحاديث وطريقة عرض لا تعتمد منهجاً علمياً واضحاً، قُلتُ: هذا هو الَّذي يُتداول في الوسطِ الحُسينيِ الشِّيعيِ.

أهلُ البيت كيف عرضوا الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه؟! كي نُقارن بين ما يُعرضُ في وسطنا الحُسينيِ وبين ما يتحدَّثُ عنهُ آل مُحَمّد صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين واخترتُ نصاً، قطعاً الوقت لا يكفي أن أتناول جميع الألفاظ جميع الفقرات وإنَّما سأعرضه بشكلٍ مُجمل، أتناول أهمّ الجهات الَّتي وردت في هذا النَّص.

النَّصُ الَّذي سأعرضهُ بين أيديكم زيارةٌ مرويةٌ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه:

إذا ما رجعتم إلى كتاب (مفاتيح الجنان) الزيارة المطلقة الأولى من زيارات سيَد الشُّهداء، في أبوابِ زيارات الحُسين في مفاتيح الجنان هناك عنوانان:

العنوان الأول: الزيارات المطلقة.

والعنوان الثاني: الزيارات المخصوصة.

وأعتقد أنَّ المعنى واضح الزيارات المخصوصة لها أوقات مُعيّنة، الزيارات المطلقة ليست لها أوقات مُعيّنة، في باب الزيارات المطلقة أوّل زيارة يوردها المحدِّث القُمّي في مفاتيح الجنان زيارةٌ مرويةٌ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه وهي هذه الزيارة الَّتي سأمر عليها.
تعريف موجز عن هذا النَّص عن هذه الزيارة:

هذه الزيارةُ رواها الشَّيخ الكليني في الكافي، ورواها الشَّيخُ الصّدوق في كتابه الفقيه، ورواها الشَّيخُ الطوسي في كتابه التهذيب، الكُتب الحديثيّة الأهمّ في الوسط العلمائي، في الوسط الشِّيعي عند المحدِّثين: (الكافي) (الفقيه)، (التهذيب)، و(الاستبصار) هذه الكُتب الأربعة، كُتبَ المحمّدين الثلاثة:

- محمّد بن يعقوب الكليني: هو الَّذي جمع الكافي.
- ومُحمّد بن عليّ بن بابويه القُمّي الصّدوق: هو الَّذي جمع الفقيه.
- ومُحمّد بن الحسن الطوسي لذلك يقال المحمّدون الثلاثة: فجمع الحديث في كتاب التهذيب وفي كتاب الاستبصار.

هذه الزيارة رواها المحمّدون الثلاثة في كتاب الكافي وفي كتاب الفقيه وفي كتاب التهذيب.

الشَّيخ الصّدوق ماذا علَّق على هذه الزيارة؟ يقول: فإنَّها أصحّ الزيارات عندي روايةً.

أهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين أرجعونا إلى المشهور، إلى المشهور بين شيعتهم، هناك شُهرةٌ قد تكونُ بين النّاس وهذهِ الشُّهرةُ لا أصل لها، ربَّما تنشأ من كلامٍ لا حقيقة له هناك الكثير من الأمور الشائعة، قطعاً الأئمَّة لا يقصدون ذلك، لا يقصدون الشُّهرة الشائعة الذائعة بين النّاس الَّتي لا تستندُ إلى مصدرٍ صحيح، إلى أصلٍ صحيح، فما كلُّ شيء مشهورٍ بين الشِّيعة الأئمَّة أمرونا بالرجوع إليه، قطعاً لا يقصدون هذا الكلام، هناك شُهرةٌ يصطلحُ عليها بين الفقهاء بالشُّهرة الفتوائية، شُهرة عُلمائية، رأيٌ مشهورٌ بين العلماء، فهل أنَّ أهل البيت أرجعونا إلى هذه الشُّهرة، إنَّهم لم يُرجعونا إلى هذهِ الشُّهرة، أرجعونا إلى الشُّهرة الروائية، إذا كانت هناك رواية وردت عنهم وهذهِ الرواية مشهورة في الوسط الشِّيعي، قطعاً مشهورة بين أهل الحديث، بين الَّذين لهم الخبرة بحديثِ أهل البيت، فحينما يُرجعوننا إلى ما اشتهر بين أصحابك -يُرجعوننا إلى الشُّهرة الروائية وليست الشُّهرة العلمائية، هناك أشياء تُشهر بين العلماء، وتُشتهر ولكنَّنا إذا أردنا أن نبحث عن أصلها فإمّا أن لا نجد لها أصلاً عن أهل البيت أو أنَّها أخذت من المخالفين، فالَّذي تحدَّث عنهُ آلُ مُحَمّد صلواتُ اللهِ عليهم في أنَّنا نعود إلى المشهور بين الشِّيعة- إلى ما اشتهر بين أصحابك، المشهور الَّذي له أصل وهذا الأصل يعود إليهم صلواتُ الله عليهم، كيف نُميَز المشهور من غير المشهور؟ أنا هنا لا أريد أن أجعل حديثي في هذه الجهة، لكنَّني كي أُبيَن أهمية هذا النَّص لابُدَّ أن أشير إلى هذه الملاحظات ولو بشكلٍ سريع.

كيف نُميَز هذا النَّص مشهور أو غير مشهور، هذا الحديث مشهور أو غير مشهور، بالشُّهرة الَّتي يُريدها أهل البيت صلواتُ اللهِ عليهم؟!

أحدُ هذه القرائن أو أحد هذه الوسائل أو أحد هذه الآليّات: هو وجود هذا النَّص وجود هذهِ الرواية، وجود هذا الدعاء، وجود هذهِ الخطبة، وجود هذه الزيارة، في المصادر الأصلية وبشكلٍ متكرر، هذه هي المصادر الأصلية: (الكافي)، (الفقيه)، (التهذيب)، (والاستبصار) وهذه الزيارة وردت في هذه المصادر، فهي نصٌّ مشهور، نصٌّ ورد في أهمِّ مصادر الحديثِ عند أشياع أهل البيت.

هناك قضيةٌ أخرى مهمةٌ جداً: في فهم النَّصوص، كيف نفهم النَّصوص؟!

أيضاً بشكل مُقتضب، حتَّى لو أردتُ أن أذهب إلى أبعد الآراء عن منهجية أهل البيت في فهم النصوص ما يُطرح في المدارس الألسنية المعاصرة، وحتَّى هذه الآراء كانت موجودة في السابق، من أنَّ النَّص ليس لهُ معنى ثابت، الَّذي يُحدِّدُ مضمون النَّص هو القارئ، لذلك وفقاً لهذه المدرسة ماذا يقولون؟

يقولون: كاتب النَّص، قائل النَّص ميَت لا وجود له، بغضِّ النظر له وجود فيزيائي أو لا، فكاتب النَّص أو قائل النَّص ميت، وبالتالي لا نملك صلةً بهذا الميَت كي نستطيع أن نستكشف مضمون النَّص، فمن الَّذي يُحدِّد مضمون النَّص؟ القارئ، القارئ يقرأ النَّص ويُحدِّد المضمون، قطعاً هذا المنهج نحن نرفضهُ، هذا المنهج أساساً، لو أردنا أن نُطبَقهُ فإنَّهُ سيمحقُ الدين من أوّله إلى آخره ولكنَّني أقول حتَّى لو ذهبنا بهذا الاتِّجاه إلى أبعد الحدود ذهبنا بهذه المنهجية من أنَّ قارئ النَّص هو الَّذي يُحدِّدُ مضمون النَّص، قطعاً هذا الكلام لا يعني هو كلامٌ ليس صحيحاً بالمرّة بالمطلق، فالمعطيات المتوفرة لدى القارئ لها مدخلية في فهمِ النَّص بغضِّ النظر كان فهمهُ صحيحاً أم ليس صحيحاً، من الجهة الواقعية، الآن المشكلة الكبيرة الَّتي يعيشها العالم هذا العنوان الَّذي ينتشر في كل زاوية من زوايا الحياة: (الإرهاب) هذا العنوان هو نتاج قراءة، القراءةُ السّنيّةُ للإسلام هذا نتاجها، هناك قراءة العترة وهناك قراءة غيرهم، هذا الإرهاب الَّذي انتشرت أشكالهُ وإشكاليّاتهُ في كل العالم هو نتيجة قراءة، قراءة الإسلام بالطريقة المخالفة لأهل البيت، فحتَّى وفقاً لهذا المنهج وفقاً لمنهجيةِ أنَّ القارئ هو الَّذي يُحدِّد مضمون النَّص هؤلاء أنفسهم لا يستطيعون أن يخالفوا حقيقة ثابتة، القوانين والمعاهدات والعقود لا يمكن أن يُحدِّد مضمونها القارئ، وإلَّا لا توجد قوانين، لأنَّ القوانين مبنية على أساس الحقوق والواجبات، إذا كان كل قارئ يأتي فيقرأ القانون ويُحدِّد مضمون القانون بحسب وجهة نظره فلا قانون حينئذٍ، ونفس الشيء الوثائق وأسناد الملكية، إذا كان كل قارئ يقرأ هذا النَّص ويفهم النَّص بحسبه، لا تثبت ملكية حينئذٍ، هكذا القوانين، هكذا المعاهدات، الاتِّفاقيات الدولية، إلى غيرِ ذلك، أنا هنا لا أريد أن أناقش هذه القضية، قد يسألني أحدكم إلى أين تُريد أن تصل؟

أريد أن أصل إلى هذه القضية: أنَّ الزِّيارات هذهِ مواثيق، حتَّى لو قبلنا بهذا المنهج؛ بمنهجية أنَّ القارئ هو الَّذي يُحدِّد المضمون فالزِّيارات هذه مواثيق، هذه عهود، المواثيق والعهود لا تفهم إلَّا من خلالِ الَّذين كتبوا هذه العهود والمواثيق، الَّذين نطقوا بها، الَّذين صدرت عنهم، الجهة الَّتي أصدرت هذا الميثاق وهذا العهد هي الَّتي تُحدِّد فهم النَّص.

نحنُ نبدأ في كل الزِّيارات، بل الكلمة المركزية في كل الزيارات كلمة: (السّلام) وكلمة: (الصّلاة) أيضاً، نُسلِّم على الَّذي نزورهُ ونُصلّي عليه، لكن كلمة السّلام تتردَّد أكثر، حين نقول زيارة، المصطلح الأوّل الَّذي يتبادر إلى الأذهان هو السّلام، مُصطلح السّلام، فحين نسألهم عن معنى السّلام، داوود بن كثير الرقي وهو يسأل الإمام الصّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه والرواية في الكافي في الجُزء الثاني، في معنى السّلام على رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم، أحاول أن أوجز الحديث بقدر ما أتمكَّن لأنَّ المطالب مُتشعبة، ماذا جاء عنهم في معنى السّلام على رسول الله في معنى السّلام عليهم؟! السّلام على رسول الله هو نفسهُ بكُلِّيته وبكل تفاصيله الَّذي جاء مذكوراً في كل زياراتهم، وهو نفسهُ الَّذي نُسلِّمُ به في خواتيم صلواتنا، أئمَّتنا ماذا يقولون، إمامنا الصّادق ماذا يقول؟

السّلامُ هو تجديد عهدٍ وميثاقٍ أخذهُ اللهُ على رَسولهِ وأوصيائهِ وشيعتهم، وهو تجديدٌ عهدٍ وميثاقٍ أخذهُ رسول الله علَّى أوصيائه وعلى شيعتهم. ميثاقان:

ميثاقٌ أخذهُ الله على رسوله وأوصيائه وشيعتهم.

وميثاقٌ أخذهُ رسول الله على أوصيائهِ وعلى شيعتهم.

ما هو مضمون هذا الميثاق؟

إنَّه ميثاقُ العهدِ المهدويَّ! وميثاقُ الرجعةِ المحمَّديةِ العلوية! هذا هو الميثاق..!!

الرواياتُ بيّنت أنَّ الميثاق هو هذا، فكلُّ سلامٍ في زياراتنا، وكلُّ سلامٍ في أدعيتنا، وكلُّ سلامٍ في مناجياتنا معهم، وكلُّ سلامٍ في كُلِّ هذه الزِّيارات، الزِّيارات المفصّلة، المختصرة، المطلقة، المخصوصة، من قريبٍ، من بعيد، كلُّ سَلامٍ هو تجديدُ عهدٍ وتجديدُ ميثاق، وبشكلٍ واضح وجلي معَ إمام زماننا، حين نُسلِّمُ على رسول الله أو نُسلِّم على سيّد الأوصياء أو نُسلِّم على الصِّديقة الكُبرى أو نسلِّم على أيٍّ من المعصومين سلامنا في دلالته وحقيقته تجديدُ عهدٍ وتأكيد ميثاقٍ مع إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ومن هنا قلت: من أنَّ هذه الزِّيارات هي عهود ومواثيق، هذه الزِّيارات عهود ومواثيق.

وبعبارةٍ مُختصرة وموجزة: هذه الزِّيارات وثائق تكونُ سبباً رابطاً بين الشِّيعة وبين أئمَّتهم، هذه الزِّيارات الشَّريفة على اختلاف مراتبها، وعلى اختلاف أنحائها، هذه زياراتٌ لعامّة النّاس، لكُلِّ الشِّيعة، ليست مخصوصةً بفئة دون فئة، مثل ما الأحزاب والمؤسسات والجامعات والتنظيمات والجمعيات الخيرية والشركات، كلُّ التشكيلات البشرية، كل الهيئات المختلفة، مثل ما هذه التشكيلات البشرية وهذه التنظيمات تمتلكُ مجموعةً من الأدبيات، ومن الأسس الفكرية والعلمية الَّتي على أساسها يتكوّنُ مضمونها، أدبياتُ التشيّع هي هذه، أدبيات التشيّع الَّتي بذلها الأطهارُ صلواتُ الله عليهم لشيعتهم بذلوها في هذه الزِّيارات في هذه النَّصوص، ولذلك هذه النَّصوص المفروض أن تكون مُتداولة في كل وقت، وأن تصل إليها أيدي الشِّيعة دائماً، لأنَّ هذه النَّصوص هي الأدبيات الَّتي يتشكَّلُ منها الفكرَ العقائديّ الشِّيعيّ.

وقضيةٌ مهمةٌ جداً: هذه القضية في الواقع الشِّيعيّ أهملت هذه الزِّيارات إهمالاً فكرياً وعقائدياً، الَّذين اهتمّوا بها من الشِّيعة اهتمّوا بها بشكلٍ طقوسي، حينما يُريد أن يزور يقرأ النَّص، وحينما يفهم النَّص هذا إذا فهمهُ فيفهم النَّص وفقاً لمعطيات ثقافة موجودة في الشارع الثقافيّ الشِّيعيّ، هذه الثقافة تستندُ إلى فكرٍ مُخالف لأهل البيت، ولذا الشِّيعيّ أمام هذه الزِّيارات إمّا أن يقرأها من دون أن يفهم منها شيئاً، مجرّد عبارات يردِّدها من دون فهمٍ، وإن أراد أن يفهمها، شيء طبيعي الإنسان مُحاصر بمعلوماته، سيعود إلى مجموعة المعطيات والمعلومات الَّتي يمتلكها إذا ما أراد أن يفهم هذه النُّصوص، حتَّى في الوسط العلمائي حين يستنتجون المفاهيم والأفكار والعقائد يذهبون إلى نصوص أحاديث الرِّوايات، وهذا شيء صحيح، ولكن هناك قضيةٌ بالغةُ الأهميّة، أنَّ نصوص الأحاديث والرِّوايات في كثيرٍ منها هي إجابات على أسئلة، وحين يكون الكلامُ جواباً على سؤال فهذا يعني أنَّ المعصوم صلواتُ الله وسلامهُ عليه في كثيرٍ من الأحيان يأخذُ في نظر الاعتبار السائل، أو يأخذُ في نظر الاعتبار المجلس الَّذي تمّ فيه الكلام، بينما هذه الزِّيارات هي تخرج مباشرة من المعصوم يقول هكذا زوروا أئمَّتكم، هو المبتدئ بها، حتَّى وإن كانت بسبب سؤالٍ، كيفَ نزور الحُسين والإمام تفيضُ شِفاههُ بهذا النَّص، فهذه نصوص ابتدائية، هو يبتدي بها المعصوم يبتدي بها، فارقٌ كبير بين نصٍ يصدرُ من المعصوم ابتداءً وبين جوابٍ على سؤال، والأئمَّةُ هم يقولون، هم يُقسمون: (والله ما كلَّمنا النّاس قط على قدر عقولنا، وإنَّما كلَّمناهم على قدر عقولهم) هذا المضمون لا يعني أنَّهُ ليس موجوداً في الزِّيارات، هو أيضاً موجود ولكنَّهُ في السؤال والجواب يكون بشكلٍ آكد، بشكل أقوى بشكل أوضح، فمراعاة السائل، ومراعاة المستمع، ومراعاة المتلقي، ومداراة المجلس، والَّذين حضروا في المجلس تكون بشكلٍ مؤكَّد في حالة السؤال والجواب، لكنَّها قطعاً في حال نصوص الزِّيارات والأدعية ستكون هذه القضية أضعف، النتيجة ما هي؟ ستكون الزِّيارات المصدر الأكثر ثراءً في معرفة عقائدنا، الزِّيارات ستكون المصدر الأوسع، الزِّيارات ستكون المصدر الَّذي تقلُّ فيه نسبةُ المداراة بملاحظة الأسئلة والأجوبة، قطعاً أنا هنا لا أفكُّ بينَ الزِّيارات والأدعية وبين أحاديث أهل البيت، نحنُ أمام بنيان مرصوص مُتكامل، ما بين آيات الكتاب الكريم ونصوص الزِّيارات والأدعية والمناجيات، والخُطب الطويلة والأحاديث القصيرة، إن كانت ابتداءً من المعصوم للتوضيح أو كانت جواباً على سؤال، كلُّ هذه المعطيات يشدُّ بعضُها بعضاً، ويشرحُ بعضُها بعضاً، المنهجيةُ الواضحةُ في قواعد الكتاب والعترة أنَّنا نفهمُ الكتابَ بالكتاب وفقاً لموازينهم، ونفهمُ الكتاب بالعترة أيضاً، نفهم الكتاب بالكتاب وفقاً لموازينهم لا وفقاً لموازيني، لا وفقاً لموازيننا، نفهمُ الكتاب بالكتاب وفقاً لموازينهم، ونفهمُ الكتاب بالعترة، ونفهمُ العترةَ بالكتاب ونفهمُ العترة بالعترة، هذا هو منطقُ الكتاب والعترة والَّذي يجدهُ من يجدهُ واضحاً حين يعود إلى مضامينِ كلامهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين الصريحة والواضحة، هذه المطالب الَّتي أشرتُ إليها لا يُمكن الاكتفاء بهذا الطرح المقتضب هذه المطالب أساسية، لكنَّني أردتُ أن أوردها كي أوضِّحَ مقصودي، كي تتبيّنَ أهميةُ هذا النَّص، وسائرَ النُّصوص.

- فحينما نُريد أن نعرض الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه فهل نعرضهُ بالأسلوب الإنشائي؟ مُرادي من الأسلوب الإنشائي: الأسلوب الوصفي الأدبي، الإغراق في الوصف الأدبي.
- هل نعرضُ الحُسين وفقاً لأسلوب التحليل؟

- إغراقاً في التأريخ؟
- إغراقاً في الأجواء السياسية الَّتي صاحبت عاشوراء؟
- وقوفاً عند الأبعاد العسكرية أو الإعلامية في الواقعة؟ إلى غير ذلك من المطالب الَّتي مرّ الحديث عنها ولا أريد أن أكررها مرةً أخرى.

حين نقفُ على هذه الزيارة ومن دون المقدمات اختصاراً للوقت الآن بشكل مُجمل أمرّ على الزيارة وما بقي من الوقت أبين بعض المطالب وتتمّةُ الحديث إن شاء الله في الليلة القادمة، كيف تبدأ الزيارة؟

الزيارةُ هكذا تبدأ: **السّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته، السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتيلَ الله وابْنَ قَتيله، السّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه، السَّلامُ عَلَيكَ يا وِتْرَ اللهِ الموتُورِ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْض**، هذا المقطع الأوّل، سأمر على بيان مضامينها ولو بشكلٍ مُجمل ولكن سنصل إلى خُلاصة، سنصل إلى مُحصّلة بالنتيجة، لكنَّني وأنا أقرأ أنتم قارنوا بين هذا الأسلوب وبين الأساليب الأخرى الَّتي اعتدتم على استماعها أو الَّتي أشرتُ إليها كيف يُعرضُ الحُسين؟! الآن الصّادق يعرض الحُسين بين أيدينا بهذا العرض:

المقطع الثاني من الزيارة: **أَشْهَدُ أَنَّ دَمَك سَكَن فِي الخُلْد وَاقْشَعَرَّتْ لَهُ أَظلَّةُ العَرْش وبَكَى لَهُ جَميعُ الخَلَائق وبَكَت لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبع والأَرَضُونَ السَّبع ومَا فِيهِنَّ ومَا بَينَهُنّ ومَن يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّة والنَّار مِن خَلْقِ رَبِّنا ومَا يُرَى ومَا لا يُرَى**، هذا المقطع الثاني، هذا المستوى من الفهم وسأشرحُ معناه، هذا المستوى من الفهم وهذه الأدبيات هي الأدبيات الموجودة والمطروحة في الثقافة الحُسينيّة..!!

المقطع الثالث وهذا يؤكّد ما قُلت من أنَّ هذه النّصوص مواثيق، المقطع الثالث نفس المقطع الأوّل يكرّرهُ، لأنَّ الكلام ليس إنشائياً، لأنَّها عهود ومواثيق، الكلام هنا ليس وصفياً، حين تقول الزيارة: (**السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتيلَ الله**) هذا ليس تعبيراً إنشائياً، ليست تعبيراً مجازياً، هذا ليس حشداً للعبارات والألفاظ لأجلِ أن نُدبّج صفحةً أو صفحتين من الكلام في تمجيد شخص ما، هذه عهود ومواثيق، نفس المقطع الأوّل سيتكرّر: (**أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّة الله وابْن حُجَّته**) نفس المقطع الأوّل، لماذا يتكرّر؟ لأنَّ هذه عهود، مواثيق، هذا الكلام ليس إنشائياً.

أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّة الله وابْنُ حُجَّته وأَشْهَدُ أَنَّكَ قَتيلُ الله وابْنُ قَتيله -نفس الألفاظ الَّتي مرت علينا قبل قليل- **وأَشْهَدُ أَنَّكَ ثَأرُ الله، وأَشْهَدُ أَنَّكَ ثَارُ الله وابْنُ ثَارِه وأَشْهَدُ أَنَّكَ وِتْرُ الله الـمَوْتُور فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْض.**

مقطع آخر بعد هذا المقطع: **وأَشْهَدُ أَنَّك قَد بَلَّغْتَ ونَصَحْتَ وَوَفَيتَ وأَوْفَيت وجَاهَدتَ فِي سَبِيلِ الله ومَضَيتَ لِلَّذِي كُنْتَ عَلَيهِ شَهِيداً ومُسْتَشْهِداً وشَاهِداً ومَشْهُودا.**

مقطع آخر: **أَنَا عَبدُ الله ومَولاكَ وَفِي طَاعَتك والوَافدُ إِلَيك، أَلْتَمسُ كَمَال الـمَنْزِلَة عندَ الله وثَبَاتَ القَدَمِ فِي الهِجْرَة إِلَيك والسَّبِيلَ الَّذي لا يَخْتَلجُ دُونَك من الدُخُولِ فِي كَفَالَتك الَّتي أَمَرتَ بِهَا، مَن أَرَادَ الله بَدَأ بِكُم، بِكُم يُبَيِّنُ اللهُ الكَذب وبِكُم يُباعدُ اللهُ الزَّمانَ الكَلب وبِكُم فَتَحَ الله وبِكُم يَختمُ الله وبِكُم يَمحُو مَا يَشَاء ويُثْبِت، وبِكُم يَفكُّ الذُّلَّ مِن رِقَابِنَا وبِكُم يُدْرِكُ اللهُ تِرَة كُلِّ مُؤْمِنٍ يُطْلَبُ بِهَا وبِكُم تُنْبِتُ الأَرْضُ أَشْجَارَها.**

ألا تُلاحظون أنَّ هذه المضامين هناك الكثير من الكُتبِ في الوسط الشِّيعيّ وهناك الكثير من وسائل الإعلام وهناك الكثير من المتحدِّثين يرفضون هذه المضامين ويُشككون فيها ويردون عليها، صحيح هم لا يردون على هذه الزيارة، أنا هنا لا أتحدَّث عن ألفاظ بعينها، هذه المضامين تُرد بشكلٍ وبآخر، في كلِّ مجلسٍ من المجالس إذا أردنا أن نُتابع وأن نُدقق سنجدُ رداً على بعضِ هذه المضامين، هذا هو العرضُ الصّادقي لسيد الشُّهداء، تستمرَ الزيارة:

وبِكُم تُنبِتُ الأرضُ أشْجَارَها وبِكُم تُخرِجُ الأرضُ ثِمَارَها وبِكُم تُنْزِلُ السَّمَاءُ قَطْرَها ورِزْقَهَا -وتذكروا نحنُ بين يدي ميثاق!! هذه ليست عبارات إنشائية، هذه مواثيق، هذه حقائق، هذه المضامين لا بعنوان البركة الشائعة على الألسنة العامة، هذه الباء في العربية ماذا تُسمّى؟ تُسمّى بباء السّببية، هذه باء السّببية- **وبِكُم تُنبِتُ الأرضُ أشْجَارَها وبِكُم تُخرِجُ الأرضُ ثِمَارَها** -هذه باءَ السّببية- **وبِكُم تُنْزِلُ السّمَاءُ قَطْرَها ورِزْقَهَا وبِكُم يَكْشِفُ اللهُ الكَرْب وبِكُم يُنَزِّلُ اللهُ الغَيْث وبِكُم تُسَبِّحُ الأرضُ الَّتي تَحْمِلُ أبْدَانَكُم وتَسْتَقرُّ جِبَالُها عَلَى مَرَاسِيهَا، إرَادَةُ الرَّبِّ في مَقَادِيرِ أُمُوره تَهْبِطُ إلَيكُم وتَصْدرُ من بُيُوتكُم والصَّادرُ عَمَّا فُصِّلَ من أحْكَامِ العِبَاد، لُعِنَت أُمَّة قَتَلَتْكُم وأُمَّةٌ خَالَفَتْكُم وأُمَّةٌ جَحَدَت وِلايَتَكُم وأُمَّةٌ ظَاهَرَت عَلَيكُم وأُمَّةٌ شَهِدَت ولَم تُسْتَشْهَد،** إلى آخرِ الزيارة.

الجوّ العام في هذه الزيارة والمضمون الشائع في الزيارة من أوّلها إلى آخرها، الحديث لا هو إنشائي ووصفي، الحديث لا هو في جهة التحليل التأريخي والسياسي والعسكري والإعلامي، الحديث لا هو في جهة المصيبة والإغراق في المصيبة من دون الفهمِ العميق لها، هناك حديثٌ عن المصيبة في هذه الزيارة ولكن بفهمٍ عميق، الزيارة لا تشتمل لا على منامات ولا على مضامين أخرى يشيعُ ذكرها في المجالس وفي الأحاديث، أنا لستُ ضد هذه المطالب كما بيّنتُ في مجلس البارحة في حديثِ البارحة لكنَّني قلت هناك أولويات، هناك الأهم والمهم، هذه الأشياء الَّتي أشرتُ إليها أشياء مُهمّة لا أنكرَ أهميتها ولكنَّها ليست الأهم، لو كانت هي الأهم لتحدَّث عنها أهلُ البيت، وإذا ما سبرنا كل الزِّيارات وهذا الأسلوب الواضح البيّن الصريح الموجود في كلِّ زياراتهم الشريفة وسيّدةُ الزِّيارات الزيارة الجامعة الكبيرة، المعاني فيها أجلى وأوضح، هذا النخعي حين سأل الإمام الهادي علِّمني يابن رسول الله قولاً أقولهُ بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم، ففاضت شفاهُ الإمام الهادي صلواتُ الله وسلامهُ عليه بهذا النَّص المعروف بالزيارة الجامعة الكبيرة، هي القولُ البليغُ الكامل، حين نتصفحها سنجد نفس هذه المضامين، ولكن بشكلٍ مُفصَّل أكثر، بنحوٍ أوسع، وهكذا هي زيارتهم الشريفة الطويلة منها المفصّلة المبسوطة أو المتوسطة أو القصيرة، نحنُ وهذا النَّص الَّذي بينَ أيدينا، الوقت لا يكفي أن أقفَ عند كُلِّ عبارة، عند كل جُملة ولكنَّني سأذهب إلى المفاصل المهمّة في هذه الزيارة الشريفة:

بشكل موجز أقف عند هذه العبارة الَّتي هي في أول الزيارة: **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته،** الحُجّةُ بشكلٍ واضحٍ وصريح الحُجّةُ هي العقل، ولذا ما يُعطى للحجّةِ من معانٍ: الدليل، البرهان، وأمثال هذه المطالب، جوهرها أصلها أساسها العقل، وأوّل ما خلق الله العقل، والروايات مُفصّلة وقال لهُ: بك أثيب وبك أعاقب.

أحاديث أهل البيت ماذا تقول؟

هناك وسائل لمعرفة الإنسان يُعرف عقلُ الرجُل من رسوله، الوسيط الَّذي ينتخبهُ هذا الرجُل، والرجُل هنا ليس مخصوصاً بالذكر الرجُل هنا عنوان ينطبق على الذكر وعلى الأنثى، لكن هو العنوان الشائعُ في الحديث، فيُعرف عقل الرجل من رسوله كما يعرف من كتابه مثلاً، الكتاب المقصود الرسالة أو حتَّى الكتاب المؤلَّف، يُعرف عقلُ الرجُل من رسوله، والرسولُ كما يُقال هو عقلُ الـمُرسل، من دون تفصيل وتطويل: **السّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله**، هذا هو عقلُ الله، كلُّ شيء عند الله هو ظاهرٌ في هذا الوجود، هذا الوجود الَّذي وصفتهُ الزيارةُ بهذا المصطلح إنَّهُ حُجّةُ الله، فكلُّ ما يُراد من الله موجودٌ في هذه الحُجّة هذا هو عقلُ الله، كل ما يُرادُ من الله وكلُّ ما يطلبهُ المخلوق من الله موجودٌ هنا، البوابة من هنا.

أصرحُ عبارةٍ في ذلك العبارة الَّتي جاءت في دعاء الندبة الشريف: (أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذي إِلَيهِ يَتوجَّهُ الأَوْلِيَاء) عبارة صريحة وواضحة لا تحتاج إلى شرح ولا إلى بيان (أَيْنَ وَجْهُ الله) وجهُ الله هَل هو وجهٌ زماني؟ هل هو وجهٌ مكاني؟ هل هو وجهٌ يمكن أن يُوصف؟ وجهُ الله، والوجه هنا لا يُراد من الوجه هذا الَّذي يُرى من المخلوق يُرى من الإنسان الَّذي فيه عيناه وأنفه وفمه، حين يقف المصلِّي ويقول وجّهت وجهي فهل يقصد بهذا الوجه؟ المراد الحقيقة وجّهت حقيقتي، إذا كان يقصد وجّهتُ وجهي هذا الوجه سيقع في دائرة الشرك، لأنَّهُ سيجعل من الوجود الإلهي وجوداً محسوساً، وجوداً مادياً، وجّهتُ وجهي وجّهتُ حقيقتي، وجّهتُ قلبي، والمراد من قلبي أيضاً حقيقتي وليس هذا العضو اللحمي في جسد الإنسان، فهذه العبارة هي جوهر دعاء الندبة: (أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذي إِلَيهِ يَتوجَّهُ الأَوْلِيَاء) هذا الوجه ليس محكوماً لا بالزَّمان ولا بالمكان ولا بالمتغيرات ولا بالعجز، حين يكون هذا الوجه وجهاً لله يُمكن أن يُوصف بالعجز؟! يُمكن أن يُوصف بالفناء؟ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ -هو هذا الوجه الباقي- وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ -ذو صفة الوجه هذه وليست لربّك، لو كانت صفة لربّك لصارت الآية ذي الجَلال والإكرام، لأنَّ ربّك هنا مجرورة- كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ -وجهُ فاعل مرفوع وهو مضاف وربِّك مُضاف إليه، ذو الجلال صفة لمن؟ للوجه- كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ هذا هو الوجهُ الباقي، الوجه الَّذي لا يفنى، هذا الوجهُ الَّذي لا يتطرّقُ إليه الأفول، هذا بشكل موجز أنا لا أريد أن أسهب كثيراً وإلَّا سيطول الحديث.

السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّتِه: الكلام واضح قطعي، هذه ما هي بعبارات إنشائية، هذه حقيقة، أنت تتحدَّث عن كيان تصفهُ بهذا الوصف، فهل هذا الوصف إنشائي؟ إذا كان وصفاً إنشائياً يعني أنَّك تقولُ كلاماً لا حقيقة لهُ، الكلام الإنشائي هو هذا كلام وصفي، نَحنُ هنا بين يدي مواثيق، المواثيق يعني كلام قطعي قانوني دستوري حقيقي.

السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته -مباشرةً بعد هذه العبارة- **السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتِيلَ الله وابْنَ قَتِيله** -مباشرة لماذا؟ واضح من النَّص النَّص يُريد أن يقول: مثلما هذه العبارة جاءت بالمعنى الحقيقي العبارات الأخرى جاءت بالمعنى الحقيقي، أساساً هذه العبارة- **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته** -جاءت كي تفهمنا إنَّ العناوين الَّتي ستأتي ليست إنشائية هذه عناوين حقيقية، مثل ما هذه العبارة- **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته** -عبارة حقيقية، العبارات الأخرى حقيقية أيضاً، وإلَّا لا يمكن أن تكون هذه العبارة ذات دلالة حقيقية قطعية وتأتي العبارة بعدها معطوفة بحرف الواو، العطف بحرف الواو، أنا هنا لا أُريد أن أُسهِب في قواعد البلاغة والعربية، حرف الواو العاطفة تعطي نفس القوة السابقة للَّاحق- **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته** -إذا كان الكلام هنا قطعي وميثاقي وحقيقي وبهذه السَعة الَّتي تحدَّثتُ عنها وجهُ الله- **السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتِيلَ الله وابْنَ قَتِيله،** القضية هنا ليس كما يقولون تشريفية، الحسين هو قتيل الله، قتيل؛ يعني مقتول، وعبارة قتيل إذا أردنا أن نذهب إلى الدِّقة اللغوية والبلاغية، الَّذي لاقى من القتل قتلاً شديداً، أكثر من المقتول، هناك مقتول وهناك قتيل، القتيل؛ الَّذي لاقى من القتلِ الشديد أكثر من المقتول.
والمعنى واضح في زيارة النَّاحية المقدَّسة نحنُ نتحدَّث عن صورٍ عديدة نتج منها قتل سيد الشُّهداء: السَّلامُ عَلَى الـمَنْحُورِ فِي الوَرَى -هذه صورة من الصور الإمام نُحِر- السَّلامُ عَلَى الـمَنْحُورِ فِي الوَرَى، السَّلامُ عَلَى مَن دَفَنَهُ أَهْلُ القُرَى.

صورة ثانية: السَّلامُ على الـمَقْطُوعِ الوَتِين، السَّلامُ على الـمُحامي بِلا مُعين -فهناك قَطعٌ للوتين وهناك نحر، معنى قتيل أي أنَّه تلقى قتلاً وقتلاً وقتلاً وقتلاً وقتلاً- (السَّلامُ على الـمَقْطُوعِ الوَتِين) يعني الَّذي قُطعت أوداجهُ، جابر الأنصاري في زيارة الأربعين وغداً هو يوم الأربعين في مثل يوم غد، جابر حين يقف على تربة سيد الشُّهداء ويرفع صوتهُ: (حَبِيبي يَا حُسَين -هذه الكلمة كان جابر الأنصاري يُردِّدها دائماً منذ أيام طفولة الحُسين، لأنَّ رسول الله كان ينادي الحُسين حين يراه حبيبي يا حُسين، جابر كان يفعل كما يفعل رسول الله، حبيبي يا حُسين، ثُمّ يقول- وأنَّى لَكَ بِالجَوَاب وَقَد شَخَبَت أوداجُكَ عَلَى أثْبَاجِك) الأوداج هي هذا الوتين السَّلامُ على الـمَقْطُوعِ الوَتِين.

أمّا المنحور في الورى: فالنحر هو الطعن في النقرة، النقرة هي هذه الَّتي تكون حداً فاصلاً بين نهاية الرقبة وبداية الصدر ما بين الترقوتين في وسط عظم الترقوة، أنا هنا لا أُريد أن أتشعَّب كثيراً في هذه القضية لكنَّني أردت أن أقرَب لكم شيئاً من هذه الصورة الموجزة.

السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتِيلَ الله وابْنَ قَتِيله -هذا القتيل هو قتيلُ الله، نستمر في العبارات- **السَّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه** -والكلام هو هو، عن سيد الشُّهداء وعن أمير المؤمنين وابن قتيله، لكن لأنَّ الكلام هنا عن سيد الشُّهداء سيكون حديثي في هذه الجهة وإلَّا العبارة واضحة- **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته** -وحين تقول الزيارة: (وابن حُجّته) يعني الأصل هناك، الأصلُ عليّ- **السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتِيلَ الله وابْنَ قَتِيله، السَّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه** -كلمة الثار في لغة العرب تعني الدَّم الدَّم الدَّم، هناك لها دلالة أخرى تأتي بعد هذه الدلالة هو الحق، يقال فلان لهُ ثأر فلان، يعني لهُ الحق أن يُطالب بحقِّ ذلك القتيل

الَّذي هو من أوليائه، ما يُصطلح عليه بالاصطلاحات الشرعية بوليّ الدَّم- **السّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه** -ستأتينا في الفقرات القادمة إذا استطعت إلى أن أصل إلى نهايات العبارات في الليلة القادمة سيأتينا عند هذه العبارة- (**وبِكُم يُدرِكُ الله تِرَة كُلِّ مُؤْمِنٌ يُطْلَبُ بِهَا**) الترة ما هي؟ هو نفسهُ الثأر، عن أيَ ثأرٍ؟ الله يطلب ثأر الحُسين حتَّى منَّا، الرِوايات صريحة، الزِيارات صريحة واضحة عن إمامنا الصّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه في كامل الزِيارات، وفي غيره، نصوص واضحة صريحة: (أنَّ الله سيثأرُ للحُسين من جميعِ خلقه) -من جميعِ خلقه، الزيارة تتحدَّث عن هذه الحقيقة، أيّ ترة هذه أيّ ثأرٍ في أعناق المؤمنين وهم مُطالبون بهذا الثأر؟ الزيارة هكذا تقول- **وبِكُم يُدرِكُ الله تِرَة كُلِّ مُؤْمِنٌ يُطْلَبُ بِهَا**، الترة هي مأخوذة من كلمة الوتر والموتور، سأتحدَّث عن هذا الموضوع في الليلة القادمة إن شاء الله تعالى.

أعود إلى بدايات الزيارة الشريفة: **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْنَ حُجَّته، السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتيلَ الله وابْنَ قَتيله، السّلامُ عَلَيكَ يا دَمَ الله** -يا ثَارَ الله- **يا دَمَ الله وابْنَ دَمه** -هذا الكلام ليس إنشائياً هذه المطالب حقيقية- ولذلك ستأتي الزيارة ماذا تقول؟ (**أَشْهَدُ أَنَّ دَمَك سَكَن فِي الخُلْد**) إنَّ دمك ليس كدماء أهل الأرض، هو هذا الشرح الَّذي يذكرهُ البعض من أنَّهُ المشار في هذهِ العبارة ليس الدَّم الَّذي سُفك من جسد الحُسين وإنَّما هذه قضية مثالية تتناسب مع عالم الملكوت وأمثال هذا الطرح، عبارات صريحة واضحة، الإمام يقول (**أَشْهَدُ أَنَّ دَمَك**) دمُ الحُسين هو الدَّمُ الَّذي في جسده ولا شيء آخر، العبارة صريحة واضحة، لا تحتاج إلى هذا التوجيه البعيد جداً، لكن ما هو بغريب من ثقافة تَرى أنَّ دم المعصوم موصوف بالنجاسة، ما هو بغريب، فلا يستطيع أن يتصوّر المتصوَر أنَّ هذا الدَّم سيسكنُ في الخلد، فلابُدَّ أن يكون بصورة أخرى.

السّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه، السّلامُ عَلَيكَ يا وِتْرَ الله -العبارات هي هي ولكن المعاني بحسبِ اللغة لا بحسب الحقيقة، بحسب الحقيقة لا أدري، بحسب اللغة المعاني تتعالى، تتأكَّد، القتيل الَّذي لاقى قتلاً شديداً مؤلماً قاسياً، مقتول لاقى قتلاً شديداً مؤلماً قاسياً، هذا هو القتيل، يتأكَّد المعنى بشكلٍ أوضح الثار هو الدَّم، ثُمّ يتأكَّد المعنى بشكل آكد وأقوى الوتر، وجاء موصوفاً الموتور، الوتر هو القتيل، وهو الدَّم، وهو الثار، وهو الألم، وهو المصيبة، وهو كلُّ شيء يمكن أن نتخيّلهُ في الَّذي جرى على سيَد الشُّهداء- (**السّلامُ عَلَى الـمُجرّعِ بِكَاسَاتِ الرِّمَاح، السّلامُ عَلَى الـمُغَسّل**، بأيِّ شَيء؟ **بِدَمِ الجَرَاح**) جِراحُ الحُسين هذه الَّتي وُصفت لنا، نَحنُ لا نملكُ صُورةً حقيقيةً عن الَّذي جرى، ولكن ما بأَيدينا، جراحاتُ الحُسين جراحاتٌ بجنبِ جراحات، وجراحاتٌ فوق جراحات، وجراحاتٌ في داخل جراحات، لأنَّ المساحة الطبيعية للجسمِ للجسدِ محدودة، وإمامنا الباقر صلواتُ الله وسلامهُ عليه يُحدِّثنا من أنَّ القوم قتلوه قتلةً لا تُشابهها قتلة، فقد قصدوهُ بالسيوف، والرِماح، والسِهام، والحراب، والعصي، والخشب، الخشب المراد أعمدة الخيام، يعني ما كان يكفيهم السيوف والسهام والرِماح، والإمام يقول والحجارة، وحتَّى بالحجارة، فقد قصدوهُ من كُلِّ جانب، هذه الصورة لا نستطيع أن نتصوّرها كما حدثت، لكن هذا التعبير الَّذي جاء في زيارة النَّاحية هو من أقرب التعابير لهذه الحقيقة: السّلامُ عَلَى الـمُغَسّلِ بِدَمِ الجِرَاح -مُغسّل بكُلِّه، حين نقول مُغسّل الـمُغسّل يعني ولا يبقى مكان بقدرِ رأسِ شعرة، هذا هو المغسل، هذا نص معصومي، وهذا مُصطلح شرعي الـمُغسّل، في الأغسال الشرعية هل يُقال لهذا الشَّخص مُغسّل أكان حيّاً أم كان ميتاً، أكان رجلاً أم كانت امرأة، كائناً من كان، إذا كان بقدر رأس شعرة

أو بقدر رأس إبرة لم يصل الماء إليه يُقال لهُ مُغسّل؟ لا يُقال لهُ مُغسّل، وهذا كلام معصوم، هذه الزيارة وردت عن النَّاحية المقدَّسة عن إمام زماننا- السّلامُ عَلَى الـمُغَسّلِ بِدَمِ الجِرَاح، ولم يقل الإمام السّلامُ على المغسول بدمِ الجراح، الـمُغسّل يعني مرّات، مرّات، ما قال الإمام السّلامُ على المغسول، المغسول أيضاً هو الَّذي يُغسّل بكلِّ أجزائه ولكن مُغسَّل يعني أكثر من مرّة، حتَّى في كُتب التأريخ الَّتي كتبها المخالفون مثل تأريخ الطبري أو غير تأريخ الطبري، إنَّنا نجدُ صوراً تتحدَّث عن هذه المضامين، هناك صور مذكورة على أي حالٍ، أواصل حديثي ولا أريد أن أتشعب في كلِّ هذه التفاصيل.

السَّلامُ عَلَيكَ يا وِتْرَ الله الموتُور في السَّمَاوَاتِ والأَرْض -وهذا العنوان هذا العنوان السّماوات والأرض هذا مُصطلح المراد منه كلُّ الوجود، وإلَّا ليس الحديث عن هذا الجُرم الأرضي، هذا عنوان، ما قيمة هذا الجُرم في هذا الوجود الفسيح، وليس الوجود كلُّهُ محصوراً في السّماوات، أحاديثُ أهل البيت تُحدِّثنا عن عوالم ما بعد السماوات أوسع وأوسع بكثير، لكن هذا العنوان هو المرئي هو المحسوس هو الَّذي اعتاد عليه الذهن البشري في الحديث عن كلِّ الوجود يكون الحديث عن السماوات وعن الأرض- **السَّلامُ عَلَيكَ يا وِتْرَ الله الموتُور في السَّمَاوَاتِ والأَرْض** -والَّذي يدل على أنَّ المراد من السماوات والأرض هنا الوجود بكُلِّه ما جاء في نفسِ الزيارة- **وبَكَى لَهُ جَمِيعُ الخَلائق** -جميعُ الخلائق ليسوا محصورين فقط في السماوات والأرض هناك ما وراء السماوات- **وبَكَى لَهُ جَمِيعُ الخَلائق وبَكَت لَهُ السَّمَاواتُ السَّبْع والأَرَضُون السَّبع ومَا فِيهنَّ ومَا بَينَهُنَّ ومَن يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ والنَّار مِن خَلْقِ رَبِّنَا ومَا يُرَى ومَا لا يُرى**، القضية أوسع، واسعة جداً، العبارات هي نفسها تشرحُ نفسها بنفسها في داخل نفس الزيارة، وهذه من خصائص حديث أهل البيت، أهلُ البيت صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين حين نصفُ حديثهم كما هم وصفوه في الزيارة الجامعة الكبيرة (كَلَامُكُم نُور) كلامكم نور؛ النور لا يحتاج إلى مُنوِر، هذا الضوء يكشفُ عن نفسه ويكشفُ عنَّا، الآن لو ينقطع التيار الكهربائي وتنطفئ هذه الأضوية لا أراكم ولا تروني، لماذا؟ لأنَّ الضوء هو الَّذي ينقل الصورة، حين ينعدمُ الضوء لا تنتقلُ الصورة حينئذٍ، الضوء هو الناقل، صحيح نحنُ لا نستشعرَ ذلك لسرعة الضوء، الضوء سريع جداً، سرعته هائلة ينقل الصورة، ولذلك حين يغيب الضوء تغيب الصور، الضوء يكشفُ عن نفسه ويكشفُ عن غيره، هذه طبيعة الضوء، طبيعة النور هذه، النور يكشفُ عن نفسه يوضح عن نفسه ويُوضِّحُ عن غيره (كَلَامُكُم نُور) يعني لا يحتاج إلى مُنير من خارج كلامهم، ولذلك قواعد الفهم وسائل الفهم وآليات الفهم موجودة في داخل حديثهم وإلَّا كيف نصف كلامهم بأنَّه نور ونأتي بقواعد إمّا من عقولنا أو نأتي بقواعد نسجها لنا فلاسفة اليونان أو مخالفو أهل البيت ونأتي بهذه القواعد ونُريد أن نفهم كلامهم، هذه عبثية عبثية واضحة جداً.

فهذه الأوصاف أوصاف حقيقية، نحنُ بين يدي ماذا أقول؟ موجود، كائن، حقيقة، حق، بين يدي حقيقة هذه الحقيقة عُبِّر عنها بحُجّة الله وهو وجهُ الله وجه الله الباقي، حُجّةُ الله وجهُ الله الباقي هذا هو الوجهُ الربوبيّ للحُسين، هذا هو الوجه الربوبيّ، الوجه الإلهي للحُسين، هذا هو الَّذي تحدَّثتُ عنه في ليلة البارحة وقُلت: (لا فَرْقَ بَينَك وبَينَهَا) وإذا بلغ الكلام إلى الله فاسكتوا.

أمّا هذه الأوصاف: **السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتيلَ الله وابْنَ قَتيله، السَّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه** -هذا هو الوجهُ البشريّ للحُسين، الوجهُ الإلهيّ لا يكون قتيلاً، الوجهُ الإلهي لا يكون وِتراً موتورا- **السَّلامُ عَلَيكَ يا حُجَّة الله وابْن حُجَّته** -هذا هو الوجه الإلهيّ للحُسين، وهنا تقفُ العبارات، ويعجزُ البيان، إذا بلغ الكلام إلى الله فاسكتوا، كَلَّما ازددتُم تفكُّرا، إمامنا الباقر يقول كُلَّما ازدَدتُم تحيّرا- (كُلَّما ازدَدتُم تَفَكُّرا كُلَّما ازدَدْتُم تَحَيّرا).

هذا هو الوجهُ البشريّ للحُسين: **السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتيلَ الله وابْنَ قَتيله، السَّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه** -هذا هو الحُسين، هذا حُسيننا الَّذي نتحدَّثُ إليه- **السَّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه، السَّلامُ عَلَيكَ يا وِتْرَ الله الموتُور في السَّمَاوَاتِ والأَرْض، أَشْهَدُ أَنَّ دَمَك سَكَنَ فِي الخُلْد،** هذا هو الوجهُ البشريّ للحُسين، هذا الوجه أيضاً نحنُ لا نستطيع أن نسبر غوره أو أن نُحيط بكنهه، لا يُقاس بآل مُحَمَّد أحد، إذا كان لا تُوجد مقايسة كيف أستطيع أن أُوجِه أفكاري بهذا الاتِّجاه..؟! هناك مثال كثيراً ما أردِّدهُ وأَذكرهُ دائماً لأجل تقريب هذه الفكرة: أنَّنا لا نستطيع أن نرسم صورةً حتَّى لهذا الوجه البشريّ لهم صلواتُ الله عليهم والحديث هنا عن الحُسين، الَّذي يُريد أن يرسم خارطة لمدينةٍ من المدن، أوّل شيء عليه أن يعرف حدودها، من جهة الشمال، من جهة الجنوب، من جهة الشرق، من جهة الغرب، ماذا يحدّها من جهة الشرق؟ ماذا يحدّها من جهة الغرب؟ لابُدَّ أن يعرف الحدود.

وثانياً: لابُدَّ أن يعرف المساحة.

وثالثاً: لابُدَّ أن يعرف طريقة استعمال مقياس الرسم، حتَّى يستطيع أن يرسم هذه المساحة الأرضية الشاسعة الَّتي قد تصل إلى مئات من الكيلومترات المربعة فيحوّلها على ورقة صغيرة بمقدار سنتيمترات أو مليمترات، لابُدَّ أن يعرف طريقة استعمال مقياس الرسم قوانين مقياس الرسم حتَّى يستطيع أن يُحوّل ما هو على الأرض إلى ورقة إلى خارطة مرسومة.

وعليهِ كذلك أن يعرف النقاط المهمَّة.

وأن يعرف المسافات بين أجزاء هذه النقاط المهمّة.

وإلَّا كيف يستطيع أن يرسم الخارطة؟! أي نوع من أنواع هذه الخرائط، هناك خرائط طبيعية، هناك خرائط سياسية، هناك خرائط سُكانية، هناك خرائط اقتصادية، هناك خرائط سياحية، أي نوع من أنواع هذه الخرائط، لابُدَّ أن يكون مُلِمَّاً بهذه التفاصيل حتَّى يستطيع أن يرسم خارطة وبعد ذلك، بعد أن يُكمل كُلَّ هذه التفاصيل هل يستطيع أن يقول بأنَّ هذه الخارطة مثلاً تُمثِّل مدينة ستوكهولم، ستوكهولم شيء، حقيقة موجودة على أرض الواقع، مُمتدة إلى مسافات بعيدة فيها تفاصيل كثيرة، هذه ورقة.

نحن حتَّى هذه الورقة لا نملكها، لأنَّهُ أساساً لا نعرفُ حدودهم، ولا نمتلكُ مقياس الرسم فكيف نرسم حينئذٍ، الرسم هنا، كيف نرسم الصورة حينئذٍ، ولذلك الأئمة قالوا: (ما توهَّمتمُوه فَهُو مِن خَلقِكُم) حينما يكون الحديث عن الغيب بهذه السَعة -فما توهَّمتموهُ- هذه أوهام من خلقكم، أنتم خلقتُم هذه الأوهام، لذلك هذه العبارات لا أستطيع أن أفهم حقيقتها وإنَّما ندور في الجوَ اللغوي للعبارات.

السَّلامُ عَلَيكَ يا قَتِيلَ الله وابْنَ قَتِيلِه، السَّلامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ الله وابْنَ ثَارِه، أيّ كائنٍ هذا وأيّ دمٍ هذا الَّذي يكون دماً لله، والحديث هنا ليس عن الوجهِ الربوبيّ الحديث عن الوجهِ البشريّ للحُسين، أيّ كائنٍ هذا؟!

السَّلامُ عَلَيكَ يا وِتْرَ الله الموتُور في السَّمَاوَاتِ والأَرْض، أَشْهَدُ أنَّ دَمَك سَكَنَ فِي الخُلْد: والخُلد هنا ليس المراد من الخُلد الجنان، أبداً، هذا الخُلد هو الَّذي تحدَّث عنهُ إبليسُ معَ آدم، هذا الخُلد هو خُلد الخالدين، الخالدون، الخالدون هُم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين.

اللَّهُمَّ يا رَبَّ الحُسينِ بِحَقِّ الحُسَين اِشْفِ صَدْرِ الحُسَين بِظهُورِ الحُجَّةِ عَلَيهِ السَّلام..

أسألكم الدَّعاء جميعاً..

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ونَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأطيَبين الأطهَرين..

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصوص الكلمة كما هي وهـذا المطبـوع لا يخلـو مـن أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل الكلمة بصورة الفيـديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

الـمُتابَعة

القمر

1438هـ

2016 م

رسالةُ الأربعين من أقاصي الأرض - السويد: الجزء الثاني ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv